حوليات الجامعة التونسية

العدد التاسع والأربعون

2005

تونس

حوليات الجامعة التونسية

مجلة للبحث العلمي

تصدرها كلية الآداب بجامعة منوبة

الهيئة المؤسسة :

أحمد عبد السلام ـ الشاذلي بويحيى ـ منجي الشّملي ـ عبد القادر المهيري ـ فرحات الدشراوي ـ الحبيب الشاوش.

المديرون السّابقون :

أحمد عبد السلام ـ الشاذلي بويحيى ـ منجي الشّملي

المدير المسؤول : محمّد الهادي الطرابلسي

رئيس التحرير : محمد قوبعة

هيئة التحرير :

منجي الشملي ـ عبد القادر المهيري ـ محمد الهادي الطرابلسي ـ محمد صلاح الدين الشريف ـ محمد قوبعة ـ المنصف بن عبد الجليل ـ مبروك المناعي.

ثمن العدد الواحد : تونس عشرة (10) دنانير

سائر البلدان : عشرون (20) دولارا أمريكيا

توجّه الفصول الى : مدير حوليات الجامعة التونسية

وترسل الطلبيات والاشتراكات ومطالب المبادلات الى :

مصلحة النشر والتبادل

كلية الآداب ـ 2010 ـ منوبة

لا تلتزم المجلة بما ينشر فيها من آراء. ويتحمل كل كاتب مسؤولية ما ينشره فيها

الفصول المخطوطة لا ترجع إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر

جميع الحقوق محفوظة

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

ر . د . م . ك 0099 ـ 0330

الفهرس

الصفحة

محمود المسعدي 11
محمود طرشونة

محمود المسعدي في كلّية الآداب 21
محمد الهادي الطرابلسي

أحمد عبد الوهاب بكير 29
عبد القادر المهيري

استرسال الصوت، استرسال الدلالة : مقولة الجمع نموذجا 33
الأزهر الزنّاد

الأدب عند التوحيدي بين أسر الكاتب وتحرّر الناثر 75
صالح بن رمضان

وظائف الشواهد في رواية حدّث أبو هريرة قال 87
فوزي الزمرلي

إشكالية الجنة في رواية "المجوس 111
عبد الصمد زايد

ظاهرة التكرير في العربيّة : رؤية عرفانيّة 137
توفيق قريرة

شعريّـة الرسالة الإخوانيّة من خلال رسالة الهناء لأبي العلاء المعرّي .. 183
أحمد السماوي

"الرّمزيّة الصّوتيّة" الحدّ والتجاوز" 209
توفيق العلوي

عقيـــدة رؤيـــة الله في كلام أبي الحسن الأشعري 245
محسن التليلي

نظرية المعنى عند العرب بين المنوال التداولي والمنوال السيميائي 265
عبد المجيد العطواني

محنة الهجاء والهجّائين في الأدب الأندلسي 297
بسّام البرقاوي

تقديم الكتب :

الدين والدولة والمجتمع في مواقف وآثار محمد بيرم الخامس 323
تأليف : **علي الصولي**
تقديم : **كمال عمران**

حوليات الجامعة التونسية - عدد 48/2004 ص ص 207 - 242

"الرّمزيّة الصّوتيّة"
الحدّ والتجاوز

توفيق العلوي

مقدّمة :

تطرح هذه الدراسة إشكاليّة البحث في علاقة الصّوت بالمعنى في نطاق مبحث الرّمزية الصوتية Symbolisme phonétique وهو مبحث في فرضيّة وجود علاقة بين الصّوت ودلالة رمزية ما، هي دلالة هذا الدّال، حاملِ هذا الصّوت نفسه بصفة تعني أن مدار هذا المبحث الوحدات اللغوية غير مرتبطة بسياق ما، وغير مندرجة في الخطاب النثري أو الشعري [1]، (مثال هذا أنّ [r] في الفرنسية رمز الصلابة والقوة والعنف في مقابل [l] رمز السهولة والعذوبة والرّقة [2]).

وقد احتضنت اللّسانيات "الرمزيّة الصوتية" باعتبارها مبحثا ذا شرعية أسّستها دراسات تطبيقية بدأت أساسا مع سابيرSapir [3]، أو نظرية للسانيين عديدين[4]، لكنّ جذور هذا المبحث ممتدّة في الفكر

(1) انظر الفارق في الرّمزية ا لصوتية في اللغة والرمزية الصوتية في الخطاب في :
Todorov. T., Le sens des sons, pp. 449-450, dans : Poétique, n° 11- 1972, pp. 446-461.

(2) نقلا عن :
Peterfalvi, Jean Michel, Recherches expérimentales sur le symbolisme phonétique, CNRS, Paris, 1978, p. 65.

(3) SAPIR. E, Linguistique, Gallimard, Les Éditions de Minuit, 1968, Tra. Jean-Elie Boltanski et Nicole Soulé-susbielles, col. Folio/Essais.

(4) الأسماء عديدة في هذا المجال، اعتمدنا أهمّها في هذا المقال : جاكبسون، يسبرسن، جنات، بيترفالفي، توسّان، .Jakobson, Jespersen, Genette, Peterfalvi, Toussaint

اللساني إلى حدّ مرجعه الفكر اليوناني ممثلا أساسا في كتاب كراتيل[5] Cratyle لأفلاطون Platon.

ونهدف من هذه الدراسة إلى البحث في تفسير العلاقة بين الدّال والمدلول بصفة يمكن أن تشير إلى نسبيّة الاعتباطية باعتبارها غياب تبرير العلاقة بين طرفي العلامة اللسانية دون أن نقصد من ذلك مناقضة الاعتباطية بصفتها مبدأ قارا، أو نبرزَ ضرورة التقابل بين الرّمزية الصوتية والاعتباطية، أو نقترحَ الأولى بديلا عن الثانية وإن افتراضا.

وتتكوّن هذه الدراسة التي ليست إلاّ مقدّمة نظريّة لدراسة تطبيقية لاحقة [6]، من أربعة عناصر، نعرض في الأول إلى إبراز أهمّ المقاربات اللسانية المرتبطة بالرّمزيّة الصوتيّة، أمّا الثاني فمداره مبحث الرّمزية الصوتية مفهوما وأنواعا وآليّة واتساعَ دائرة في ما يسمّى "الرمزيّة الصوتية الكونية" Symbolisme phonétique universel، ونقترح في العنصر الثالث مبحث "الصوتميّة الرّمزية" أسسا نظرية وآلية ففرضيّةً علميّة ضرورية، يمكن أن تتحرّك ضمن إطار ابستيومولوجي يحتويه ويساهم في تأسيسه، أمّا العنصر الرّابع فمبحثه خصوصية علاقة اللغة العربية بالصوتميّة الرّمزية.

1 . في نسبيّة الاعتباطية

إنّ التساؤل عن "الرّمزية الصوتية" باعتبارها ظاهرة محايثة للاعتباطية ومبحثا يزعم تفسير العلاقة بين الدّال والمدلول وإن بصفة نسبيّة يحيل بداهة على التساؤل عن علاقة هذه الظاهرة بنشأة اللغة من جهة وبموقعها في الفكر اللّساني القديم والحديث من جهة أخرى.

(5) Platon, Cratyle.. Texte établi et traduit par Louis Méridier Paris, Les belles Lettres, 2000.

(6) ننجز بحثا تطبيقيا على اللغة العربية، نأمل نشره قريبا.

1.1. نشأة اللغة والرّمزية الصوتية

إن العلاقة بين الدّال والمدلول تحيل لزوما على قضيّة نشأة اللّغة وهي قضيّة، على أهميّتها تبقى مشكوكا في علميتها، بل البعض لا يعتبرها قضيّة علمية [7] لخروج موضوعها نفسه عمّا للعلم أن يحدّه.

وفي هذا، يرى "ويتني" Whitney أن النشأة الأولى للغة البشرية موضوع لم يضاهه في اللسانيات دراسة وكثرة موضوع آخر، ومع هذا فإن النتائج لم تواز الجهود المبذولة، فما كتب في اعتقاده ليس إلاّ هذرا وتصوّرات ذاتية ليس لها قيمة إلا عند صانعيها [8]، وهذا يدلّ على انعدام تفسير ما مقنع لرابط الدّال بالمدلول يحدّ من القول بالاعتباطية ويحدّد موقع التاريخ منها.

وهذا الموقع يراه جرار جنات Gérard Genette مؤثرا في الاعتباطية، إذ في اعتقاده أنّها "نتاج التاريخ وليس نتاج الطبيعة، وإذ لم يكن الاصطلاح في البدء، فلا اصطلاح أصلا، بل هي سلسلة من الأعراض [لا تمثل] اصطلاحا، ويمكن إذن أن نقول إن الألسنة أصبحت اعتباطية وليست في جوهرها اصطلاحية" [9] على هذا، فقدم نشأة اللغات قد لا يكون عاملا مساعدا لتتبّع العلاقة بين الدّال والمدلول لعلّة هذا النتاج نفسه.

---

(7) Auroux. Sylvain, avec la collaboration de Jacques Deschamps et Djamel Kouloughli, La philosophie du Langage, pp. 43-44, PUF, 1996, col. Premier cycle.

(8) Whitney, Oriental and Linguistic studies, I, p. 279.

نقلا عن :

Jespersen, otto, Nature, évaluation et origines du Langage, p. 398, Préface d'André Martinet, trad. L. Dahan et A. Hamm. Payot, Paris, 1976.

(9) Genette, Gérard, Mimologiques, p. 415, Éditions du SEUIL, Paris, 1976, col. Poétique :

«... il est un fait d'histoire et non de nature : il n'y a pas eu de convention originaire, donc pas de convention du tout, car une série d'accidents n'est pas une convention. On peut donc bien dire que les langues sont (devenues) arbitraires, mais non qu'elles sont (essentiellement) conventionnelles».

وفي هذا، يرى يسبرسن Jespersen أن اللّسانيين يؤكدون غالبا أن رمزية الأحداث، إن وجدت، فهي موجودة منذ قديم الزمان، لهذا، فهي ليست رمزية مستجدّة [10]، لكنّ هذا القدم لا يعني ضرورة تغيّرا جذريّا في بنى وحدات اللغة يتعذّر معه دراسة هذه الوحدات دراسة آنية [11].

فقد نجد في هذه الوحدات قرائن شكليّة وأدلّة لفظية، حركات وحروفا وعلاقات ما يعتقد معه، حدسا، وجود صوتميّة رمزيّة كامنة في بنى الوحدات اللغوية بما يمكن أن يحيل على ثنائية "الموجود بالقوّة" و"الموجود بالفعل".

وفي هذا الإطار، يرى تيلور Taylor، صاحب دراسات تطبيقية في مجال الرمزية الصوتية، أن الذين يسندون دلالات للأصوات ما كانت لهم القدرة على ذلك لولا أن هذه العلاقة بين الصوت والدلالة الرمزية موجودة من قبل في اللغة التي يدرسونها [12].

وهذا الرأي مثيل لما يعتقده بيترفالفي Peterfalvi الذي يرى أنه "حينما نتحدّث عن الرمزية الصوتية يجب أن نفكّر في مسار فعّال من الترميز أو استعمال شفرة رمزية سابقة الوجود" [13]، ويفترض سبق الوجود أن تكون الرمزية الصوتية كامنة في بنى اللغة، تحتاج إلى آلية بحث تظهرها.

---

(10) Nature, op. cit, p. 395.

(11) بيّن محمد صلاح الدين الشريف محافظة اللغة آنيا على خصائصها التاريخية : انظر أطروحته : الشرط والإنشاء النحوي للكون، ص.ص. 43-48، 249-251، 272-273، منشورات كليّة الآداب منوبة، سلسلة اللسانيات، المجلّد 16، تونس 2002.

(12) Taylor I.K, Phonetics symbolism re-examined, Psychol, Bull, 1963, 60-200-209.

نقلا عن : Recherches, op. cit, p. 74.

(13) Recherches, op. cit., p. 17.

«Lorsque nous parlerons de «symbolisme phonétique» , il faudra donc penser à un processus actif de symbolisation , ou bien d'utilisation d'un code symbolique préexistant» .

فالبحث عن تفسير لعلاقة الدّال بالمدلول من مظاهره البحث عن علاقة الصوت بالدلالة الرّمزية، وقد تجلّى ذلك في النصوص التأصيلية الأولى في علاقة الاسم بالمسمى.

2.1. نسبيّة الاعتباطية بين الاسم والمسمّى

إن أهمّ هذه النصوص في ما يرتبط بالرّمزية الصوتية كتاب "كراتيل" Cratyle لأفلاطون Platon، وهو مؤلّف يعتبره يسبرسن أهمّ تمثيل لفكرة وجود علاقة طبيعية بين الصوت والمسمّى بصفة تحصل بها الكلمات على محتواها وقيمتها بضرب من الرّمزية الصائتة [14] Symbolisme sonore.

فالقضية الهامّة في هذا المؤلّف البحث في علاقة الاسم بالمسمّى، وفيها طرحان من خلال الحوار الجدلي بين هرموجان Hermogène وكراتيل، ويتلخّص موقف الأوّل في اعتباره أنّ هذه العلاقة ليست إلاّ اصطلاحيّة، حاصلة بفعل الاعتباطية فقط واستعمال من صنعوا تقليد هذه التسمية [15]، وهذا الموقف غير مرتبط البتّة بجذور الرّمزية الصوتيّة، خارج على دائرتها، مناقض لها.

بالمقابل، يرى كراتيل أنه توجد بصفة طبيعية مطابقة بين الاسم والمسمى [16] في ما سمّي في "كراتيل" نفسه بقضية صواب التسمية La justesse du nom، والمقصد من هذا حسب جرار جنات Gérard Genette أن كلاّ من الأشياء له تسمية مطابقة راجعة إلى الملاءمة الطبيعية [17] Convenance naturelle.

(14) Nature, op. cit, p. 382.

(15) Goldschmidt, Victor, Essai sur le «Cratyle», p. 41, Librairie philosophique, J. VRIN, Paris, 1982.

(16) Cratyle, op. cit., p. 49.

(17) Mimologiques, p. 11.

ومرجعيّة هذا التطابق أطروحة "المحاكاة"، فقد ورد على لسان سقراط Socrate أن جسد الإنسان يصبح أثناء المحاكاة وسيلة تمثيل لما نريد تمثيله، وبما أنّنا نريد حسب رأيه أن نعتمد على الصّوت واللسان والفم لتمثيل ما نريد فإنه لا يمكن لنا أن نمثّل كلّ شيء بهذه الوسائل المذكورة [18].

ويوضّح سقراط هذا الرأي باعتباره أن الاسم "طريقة للمحاكاة بالصّوت لما نحاكي ونسمّي [وذلك] عندما نعتمد الصّوت لمحاكاة ما نحاكي" [19]، وخلفية هذه الطريقة أن للاسم طاقة على المحاكاة [20]، قوامها الشبه بين الكلمات والأشياء.

وأهمّ ما يعنينا في هذا الشبه اعتبار سقراط نفسه أن المحاكاة يمكن أن تكون بالحروف والمقاطع [21]، فليست الكلمات هي المحاكية، بل هذان الصنفان من العناصر التي تتكوّن منها هذه الكلمات.

وليس اللافت للنّظر هنا مدى صواب هذه المحاكاة إذ سقراط نفسه يراها غير مقنعة [22]، بل ما ارتبط بها من تصور يعتبر أن بعض حروف الكلمة مقترن بدلالة ما، من ذلك ما ارتبط بدلالات [r] في كراتيل[23].

فهاهنا التقاء بالرّمزية الصوتيّة في تعبير الجزء عن الكلّ وإن اختلفت المرجعيّة، وهاهنا التقاء في تفسير علاقة اللغة بالكون وإن تلوّنت الخلفية.

---

(18) Cratyle, p. 110.

(19) Idem, p. 110, (+ 14, 22, 126, 127) :

«... le nom est [...] une façon de mimer par la voix ce que l'on mime et nomme, quand on se sert de la voix pour mimer ce qu'on mime».

(20) Mimologiques, p. 35.

(21) Cratyle, p. 61 + 126.

(22) Idem, p. 114.

- Mimologiques, p. 28.

(23) Cratyle pp. 115-116.

لكنّ في محاكاة عناصر الكلمة للأشياء طرحا لأكثر من سؤال، ذلك أنّ اللغة والذّات من سجلّين مختلفين، فالأولى تعبّر عن الثانية بصفة تبقى معها المحاكاة، وهي حلقة الرّبط بينهما، غير واضحة، مرتبطة بالصّدفة، وهذا ما ارتآه يسبرسن الذي اعتبر أن أعضاء الجهاز الصوتي غير قادرة على إحداث محاكاة تامّة [24].

مع هذا، تبقى مقاربة المحاكاة، على هناتها، بذرة هامّة لمحاولة تفسير علاقة الاسم بالمسمّى وفهم علاقة اللغة بالكون.

3.1. نسبيّة الاعتباطية بين الدّال والمدلول

لقد عرفت هذه البذرة تطوّرات عدّة حصرت البحث في علاقة الصّوت بالمعنى في إطار الرمزية الصوتية سواء قبل دي سوسير أو بعده[25] مثل يسبرسن الذي يطرح القضية طرحا عقلانيا، طرفاه المعقول واللامعقول، فمن غير المعقول حسب رأيه اعتبار أنّ كلّ الكلمات في كلّ اللغات لها دلالة مناسبة بدقّة لأصوات هذه الكلمات، وأنّ كلّ صوت له معنى جدّ محدّد بصفة نهائيّة [26].

بالمقابل، يعتبر يسبرسن أنه ليس من الأكثر منطقية نفي أيّ نوع من الرّمزية الصوتية ورؤية الكلمات التي نستعملها على أنها تراكم عرضيّ [27].

على هذا، يبرز المعقول في اعتبار أنّ الرمزية الصوتية ظاهرة موجودة بصفة نسبية وإن اقتصرت على بعض الظواهر اللغوية دون

(24) Nature, op. cit, p. 384.

(25) انظر مراحل هامّة في الرّمزية الصوتية وأفكارا هامة في الحدّ من الاعتباطية في ما عنوانه : Le symbolisme phonique، ص.ص 217-230، في كتابه :
Jakobson, Roman et Waugh, Linda , La Charpente phonique du Langage, Tra. Alain Kihm, les Editions de Minuit, 1980.

(26) Nature, op. cit, p. 283.

(27) Idem.

أخرى في لغة ما، ففي كلّ لغة وجود مفترض لهذه الظاهرة وإن كان نسبيا.

ومهما تكن درجة هذه المعقوليّة، فإن الهام فيها محاولة تفسير العلاقة بين الدّال والمدلول في إطار الرّمزية الصوتية بصفة تكون معها الاعتباطية نسبيّة.

وفي هذا يتجاوز بنفنيست هذه المقاربة إلى اعتبار أنّ هذه العلاقة ليست اعتباطيّة، إنّما هي علاقة ضروريّة، فالمدلول في اعتقاده مثيل في وعيه بأصوات الدّال، من ذلك أن المدلول "bœuf" مماثل ضرورة للدّال [bœf]، إذ هذا المدلول مثيل لروح الصورة الصوتية لهذا الدّال، فالعقل حسب بنفنيست لا يحمل أشكالا فارغة ومتصوّرات غير مسمّاة [28]، لهذا، فالاعتباطية حسب هذا اللساني ذات مجال ضيّق [29] باعتبار أنها لا توجد إلاّ بالنظر إلى المرجع، والمرجع لا دخل له في تكوين العلامة [30].

وخصيصة هذه المقاربة اعتبارها الدّال شكلا حاملا لتصوّر ما على سبيل المماثلة بصفة تكاد تنفي الفصل بين ركني العلامة بما يجعل العلاقة بينهما ضرورية وإن جانبت الضرورة التفسير، غير اعتباطيّة وإن لم ترتبط بالرّمزية الصوتية.

إضافة إلى هذا، يرفض توسّان Toussaint القول بأن العلامة اعتباطية بحجّة أن الأصوات المكوّنة للكلمات لا تحمل دلالة هذه الكلمات، فحسب

---

(28) Benveniste, Émile, Problèmes de linguistique générale, TI, p. 51, Gallimard, 1966, col. Tel.

ينقل جاكبسون الرأي نفسه والمثال ذاته أثناء وصفه لرأي بنفنيست من الاعتباطية :

Jakobson R., Six leçons sur le son et le sens, p. 11, les Editions de Minuit, Paris, 1976.

(29) Idem, p. 52

(30) Idem, p. 53.

يرى كلود لفي ستروس ما ارتآه بنفنيست في العلاقة الضروريّة وذلك في تقديمه لكتابه جاكسون Six leçons, p. 11.

رأيه أن عدم تحديد العلاقة بين الدال والمدلول لا يعني انعدامها [31]، ذلك أن الاعتباطية غياب تبرير العلاقة، فالغياب لا يعني لزوما عدم الوجود، وعدم إثبات الشيء لا يدلّ على العدم ضرورة.

وفي هذا يرى توسان : "أن تأسيس عدم الوجود لحدث ما على ما يمكن أن نصل إلى تعقّله هو تأسيس لا قيمة له، ولكنه متّصل بالحجّة النمطية للقائل بالاعتباطية : لا أرى، إذن لا يوجد شيء" [32]، وهذه النتيجة المنسجمة مع مقدّمتها، وخلاصتها أن عدم رؤية الشيء لا يدلّ على وجوده، هي بدورها دليل على عدم كشف الشيء الممكن وجوده، فما اعتبره القائلون بالاعتباطية حجّة يمكن أن يكون لمعتقدي عدم الاعتباطية حجة كذلك.

لكلّ هذا، يرى توسّان أنه لا يوجد علم يتناول المظاهر Science des apparences، وأن غاية العلم البحث عن العلاقات الخفيّة [33]، وهذه العلاقات لا يمكن البحث فيها إلا إذا اعتبرنا أنه من الأجدر اعتبار الاعتباطية مجرّد افتراض، لا مسلمة يمكن معها تأسيس نظرة شمولية، تتلخّص في أن اللغة باعتبارها نظاما، يمكن أن تنسجم مع افتراض الاعتباطية أكثر من التسليم بها، ذلك أن مبحث الرمزية الصوتية يمكن أن يثبت نسبية الاعتباطية، فكلّ حدّ منها اقتراب أكثر من النظام اللغوي وتدعيم له.

---

(31) Toussaint Maurice, contre l'arbitraire du signe, p. 35, Didier Erudition, Paris, 1983, col. Linguistique n° 13..

للإشارة إلى عدم العلاقة بين أصوات كلمة ما بدلالة هذه الكلمة انظر مثال :

- Sapir, Linguistique, p. 1987

- مونان، جورج، مفاتيح ا لالسنية، ص. 41، تعريب الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس، 1981.

(32) Idem, p. 69-70.

... Fonder l'inexistence d'un fait sur le fait qu'on ne parvient pas à le penser est un fondement sans valeur. Mais qui se rattache à l'argument type de l'arbitriste.

(33) Idem, p. 35.

إن الجامع بين هذه المقاربات ليس اشتراكها في نسبيّة الاعتباطية فقط، بل كذلك في ارتباطها بالرمزيّة الصوتية باعتبارها من المقاربات القائلة بهذه النسبية، إضافة إلى ما لهذا الارتباط من إضفاء الشرعيّة على هذه الرّمزية باعتبارها مبحثا من البحوث اللسانية.

2. الرّمزيّة الصوتية :

إن لمبحث الرّمزية الصوتية مقوّمات تؤسسه، وتزيد من شرعيته، أهمّها المفهوم وآليّة التحليل واتساع دائرة هذا المبحث إلى ما يسمّى "الرّمزية الصوتية الكونية".

2.1. المفهوم :

تتمثل الرّمزية الصوتية في البحث عن دلالة للكلمات، تكون مأخوذة من دلالة الأصوات المكوّنة لهذه الكلمات [34]، وهذا يعني أنّ الأصوات قد ترتبط بها دلالة ما تكون هي نفسها دلالة الكلمة.

فبعض أصوات الكلمة تمثل مكوّنات حاملة لدلالة رمزية ما، هي نفسها التي تدلّ عليها الكلمة المكوّنة من هذه الأصوات، إذ في نطاق الرمزيّة الصوتية"، نبحث عن دلالة ذاتية للأصوات أو تناسب مباشر بين دلالة الكلمات وطبيعة الأصوات المكوّنة لهذه الكلمات" [35].

بهذا، تغيّب الكلمة حاملة الصّوت الرّمز إذ الأصوات ترمز دون أن تمرّ بواسطة كلمات اللغة [36]، وإذا سلمنا بهذا، سلمنا بأن الدّلالة ليست قصرا على الكلمة، بل تتعدّاها إلى جزئها الأدنى حركة أو حرفا.

---

(34) Ducrot, Oswald + Todorov, Tzevenan, Dictionnaire Encyclopédique du Langage, p. 326, Edition du Seuil, 1972, col, points.

(35) Ducrot + Todorov, Dictionnaire...., p. 245 .

«...On cherche une signification intrinsèque aux sons, ou une correspondance directe entre le sens des Mots et la nature des sons qui les composent.

(36) Todorov, Le sens des sons, p. 447.

فالكلمة بهذا تضطلع بدور المرجعيّة الدلالية التي نقيس بها مدى قدرة الصّوت الرّمز على الدلالة، ذلك أن ما يرمز إليه هذا الصوت ليس إلا دلالة الكلمة نفسها المعبّرة عن هذه الدلالة الرمزية عينها فالصوت والكلمة يمكن أن يتطابقا في الدلالة لدلالة الجزء على ما يدلّ عليه الكلّ [37].

فقد أنجزت دراسات إحصائيّة ونفسية لسانية، في ما سنشير إليه لاحقا، تبرز أن بعض الأصوات اقترنت بدلالة رمزية بما يعنى أن الصوت تتعلّق به بصفة مباشرة قدرة رمزية ما [38].

وفي هذا الإطار من التحديد المفهومي، يرى جاكبسون Jakobson أن المصطلح الأكثر تجذّرا أو شيوعا هو مصطلح "الرمزية الأصواتية" Symbolisme phonique بما يعنيه من بحث في علاقة التماثل الطبيعي بين الصوت والمعنى [39].

ورغم ما لهذا المصطلح من مفهوم دقيق، فقد اعتمدنا مصطلح "الرمزية الصوتية" لاتساع مفهومه بصفة يحتاجها هذا المقال نفسه، إضافة إلى أنه المصطلح الأكثر شيوعا في ما قرأنا من دراسات.

وقد عرفت الرمزية الصوتية بهذا المفهوم عدّة نظريات منها ما نعتبره خارجا على المبحث اللساني الصّرف لاندراجه ضمن علم النفس التجريبي، ملخصه أن يسند مستعمل اللغة قيمة رمزية لشكل نطقي ما [40]، حرفا كان أم حركة، في إطار ما يسمّى النظرية الأكوستيكيّة Théorie acoustique القائمة على الحسّ المتزامن Synesthésie، من ذلك

(37) Idem, p. 449.

(38) Todorov, Introduction à la symbolique, p. 285, dans : Poétique, pp. 273-308, n° 11, 1972.

(39) La Charpente, op. cit., p. 218.

(40) Recherches, op. cit., p. 28

أنّ الصوت يمكن أن يحيل على أفكار أو صور مرئية ما كالألوان [41]، وهي بهذا حسب بيترفالفي رمزية صوتية وهميّة [42].

بالمقابل، فقد استندت الرّمزية الصوتية المندرجة ضمن المباحث اللسانية إلى النظرية النطقية Théorie articulatoire التي تعتبر أن المعنى مرتبط بالأصوات حسب نطقها موقعا وطريقة [43]، وهذا يعني أن الدلالة الرمزية مقترنة بما للحرف أو الحركة من خصائص فيزيولوجية وسمات نطقية.

لقد مثّلت الحركات مبحثا هامّا لا يستند إلى مجرّد أمثلة إذ ظهرت دراسات تبرز أن هذه الرمزية لم تخضع للصدفة أو أمثلة محدودة، إنما هي رمزية قائمة على اطراد وانتظام مستمدّين من منهج استقرائي وإحصاء للواقع اللغوي في إطار اللغة الواحدة.

ومن أهم هذه الدراسات دراسة شاستينغ Chastaing في الرمزية الصوتية، فقد توصّل هذا الباحث إلى أن 98 % من الكلمات الفرنسية التي تعني "الصغر" فيها حركة أمامية، و2 % فيها حركة خلفية، كما أن 12 % من الكلمات المعبّرة عن "الكبر" فيها حركة أمامية، و88 % فيها حركة خلفية [44].

---

(41) في علاقة الصوت بالأحاسيس المرئية انظر مقال :
Chastaing, Maxime, Les sons et les couleurs dans : vie et langage, n° 112, Juillet 1961, pp. 358-365.

(42) Recherches op. cit., p. 135.

(43) Le sens, o. cit., p. 448.

(44) - Chastaing Maxime., Nouvelles recherches sur le symbolisme des voyelles, p. 80.
dans : journal de psychologie normale et pathologique, PUF Paris, n° 1, 1964, pp. 75-88.
وقد اعتمد للبحث عن الكلمات الفرنسية الدالة عن المعاني المذكورة على : de B enac «Dictionnaire des synonymes de»
أورد هذا كذلك
- Contre l'arbitraire, op. cit., pp. 82-83.
- Nicolai, Robert, Théorie du signe et Motivation, p. 306
dans : Annales de la faculté des lettres et sciences humaines de Nice, 1985, pp. 305-318

وتختص هذه الدراسات بقيامها على منهج إحصائي يبرز خصائص مخفية في الوحدات اللغوية لا تظهرها آلية النظام اللغوي كخروج هذه الخصائص نفسها عن دائرة هذا النظام.

وليس المنهج الإحصائي المقوّمَ الوحيد للنظرية النطقية في نطاق الرّمزية الصّوتية، إذ توجد بعض الدراسات التي يمكن أن ندرجها ضمن هذه النظرية مع خصيصة الجهاز النظري وآلية التحليل، فقد أسس الباحث الأزهر الزنّاد [45] أطروحته على اضطلاع الأحياز النطقية بدور أساسي في ما أراد هذا الباحث أن ينجزه.

فقد ارتأى أن "الأصول الأحادية |الحروف الأصول| تتوزعها مجوعات حرفيّة ذات دلالة كبرى جامعة لها حسب الأحياز النطقية في فضاء النطق، وتتقاسم الحروف المفردة تلك الدلالة كلّ بما يقتطعه منها وتلازمه في تحقّقاته المختلفة إن في قسم الأسماء المبنية وإن في صيغة صرفية وإن في بنية إعرابية" [46]، فالأحياز النطقية تمثل آلية أساسية في التحليل، وكلّ حيّز مختصّ بالتعبير عن معنى ما، "وذلك من قبيل اختصاص الأصول الشفوية بالتعبير عن علاقات الجمع واختصاص الأصول الأسنانية بالإشارة إلى الحاضر في مجال الإدراك" [47].

أمّا كيفيّة تفاعل الأصل الأحادي مركبا مع أصول وأدوات أخرى فأساسه التقاطع آلية وإجراء ممّا لم نره في ما قرأنا، وهذا الأصل الأحادي لا يبقى بهذه الآلية محافظا على دلالته ليتفاعل مع بقيّة ما

(45) هذه الدراسة أطروحة دكتوراه دولة عنوانها : المعجم في اللغة العربية : تولّده وعلاقته بالتركيب، (مرقونة) كليّة الآداب منوبة تونس، 1998.

(46) ن.م، ص. V + ص. 5.

(47) ن.م ص. 4.

تقاطع من أصول لتحدث دلالة متوزّعة على سلّم ركناه "الوجود الحسّي والوجود المجرّد" [48].

ورغم ما يسببه التقاطع من تأويل قد تطول مسافته فإنه يبرز طواعية الأصول للتفاعل بصفة تدلّ على دلالات رمزية متفاعلة تختزل بهذا التقاطع في دلالة رمزية واحدة.

إنّ الرمزية الصوتية بما لها من مفهوم ومناهج إجراء في ما بيّنا سابقا تكتسي ضربا من شرعية الوجود ظاهرة ودراسة، شرعيّة لا تفتقر إلاّ إلى آلية تدعمها.

2.2. آلية التحليل :

يمثل موقع الصوت في الكلمة أهمّ مقوّمات آلية التحليل في الرّمزية الصوتية، ولا نقصد بهذا الموقع حيز النطق الذي ارتبط به الصوت في النظرية النطقية، بل موقع الصوت في الكلمة بصفة مثّل بها هذا الموقع قرينة هامّة لاقتران الصوت الرّمز به.

وفي هذا الإطار، يبدو الموقع الأول أهمّ المواقع، إذ هو الغالب في الدراسات اللسانية المتعلّقة بالرّمزية الصوتيّة، من ذلك أن تدروف Todorov يرى أنّه يجب تعليق معنى كلّ الكلمة بحرف واحد يظهر في الكلمة نفسها وقد اختير لهذا في أغلب الأحيان الحرف الأول [49].

ومن أدلّة ما نجده في بعض الدراسات اللسانية التطبيقية من دلالة الحرف الأولّ في الكلمات الانقليزية الحسيّة Mots sensoriels، فالحرف

(48) ن. م. ص. 3، ص. 4. الأمثلة في هذا كثيرة جدّا لسعة المدوّنة، ونكتفي هنا بمثال واحد : دلالة "ليت" على التمنّي نتيجة تقاطع (ل) المقترنة بالنفي و(ت) المقترنة بالإشارة، وهاتان الدلالتان تحوّلتا بالتقاطع إلى دلالة إنشاء الطلب بالتمني : ن.م.، ص. 525.

(49) Le sens, op. cit. p. 450.

الأول (g) وهو الأكثر تواترا للكلمات الدالة على الكبر والحرف (t) للكلمات المعبّرة عن الصّغر [50].

لكنّ قيمة الموقع الأول لا تعني البتّة ثانويّة بقيّة المواقع في الكلمة، إذ لها أن تضطلع بقيمة رمزية دلالية مثيلة للموقع الأول، ذلك أنه يمكن الاكتفاء في الرّمزية الصوتية بحضور حرف واحد في الكلمة دون الاهتمام بموقع هذا الحرف في هذه الكلمة [51].

وهذا الإطلاق في المواقع، وإن بدا في ظاهره غير دقيق، ولا يساعد على تدقيق الدلالة الرّمزية فإنه في الحقيقة عكس ذلك، إذ يصبح جنس الحرف الرّمز قرينة الدلالة الرمزية بغض النظر عن موقع هذا الحرف في الكلمة.

قصدنا بهذا اعتبار الإطلاق في الموقع بمثابة العنصر المحايد غير المؤثر بصفة يظهر بها جنس الصّوت الرّمز المقياس الأساسي الذي لا يحتاج إلى قرينة موقعية، أما التقييد الموقعي فتضييق لحريّة الصّوت الرّمز بصفة يتفاعل فيها جنس الصوت وموقعه لضبط الدلالة الرّمزية، لكن ثنائية الإطلاق والتقييد لا تنفي ما بينهما من اشتراك في تعيين الدلالة الرّمزية.

وتتّسع دائرة الموقع إذا عرفنا أنّ بعض دراسات الرّمزية الصوتية تستند إلى ما يسمّى "الموضع"، المكوّنَ من أكثر من موقع، وفي هذا يرى واليس Wallis [52] أن الكلمة في الانقليزية يتكوّن بصفة عامّة من مجموعة أولى من الحروف تحمل المعنى الأساسي للكلمة، وتتكون من مقطع أخير يكوّن بدوره من حركة وحرف أو مجموعة من الحروف

(50) Taylor I.K + Taylor M.M, Phonetics symbolism in four unrelated languages, canad, J. psychol, 1962, 16, pp.344-356.

نقلا عن : Recherches, op. cit. p. 70

(51) Le sens., op. cit., p. 450.

(52) Wallis, John، عالم في الرياضيات والمنطق واللاهوت والنحو، وأحد كبار علم الأصوات في العصر الكلاسيكي (1616 - 1703) : Mimologiques, p. 49

تعطي للكلمة فارقها الدّقيق النّوعي [53]، وهذا يعني أن محمول الموضعين الأول والثاني محمول دلالي [54] معمّر لأكثر من موقع أقلّها موقعان.

ويذهب واليس في هذا إلى أنّ مجموعة أصوات الموضع الأول يصعب في أغلب الأحيان الفصل بينها [55] لظهورها على شكل مقطع واحد بما يعني أن الدلالة الرّمزية ليست متعلّقة بصوت واحد، إنما بمجموعة من الأصوات تشتغل معا ضمن مجال دلالي رمزي ما قد لا يتوّفر في عناصر الموضع الأخير [56].

إنّ الأهمّ في هذا، لا المستوى الإجرائي المتعلّق بلغة ما، بل مستوى التصوّر النظري المؤسّس على النظر إلى موضعي الكلمة، الأول والأخير، محاولة لإيجاد قوانين تمثّل آلية تحليل تظهر بها الرّمزية الصوتية بشكل منتظم وإن بصفة نسبية.

إن الأصوات الرموز، سواء حازت مواقع أو مواضع ما، تمثل ما يمكن أن يضطلع به الجزء من دلالة رمزية في إطار آلية مؤسسة على الصوت الرّمز جنسا وموقعا أو موضعا وما بينهما من علاقات.

ولا يتأسس مبحث الرمزية الصوتية إلا على الحفر في بنى الوحدات اللسانية حفرا ذريّا يحتاج فيه الباحث إلى البحث عن أدنى وحدة صوتية والتساؤل عن علاقتها بالمعنى، شبيه بهذا ما يسمّى في الفكر الفلسفي

---

(53) Mimologiques, p. 53.

(54) الأمثلة التي ذكرها واليس كثيرة جدّا نكتفي منها بمثالين :

- مثال للموضع الأول : مجموعة str تدلّ على القوّة والجهد مثل :
Strong : fort ; stroke, coup ; strike : frapper ; strength : force
- مثال للموضع الثاني : مجموعة ash تدلّ على شيء متّضح وحاد :
Crash : Fracas ; Flash : éclair
Mimologiques, pp. 49-52.

(55) Mimologiques, p. 53.

(56) Idem, p. 52.

اليوناني "اسطوخيات" Stoikheîa، وهي الوحدات الصّائتة غير القابلة للتجزئة القادرة على تكوين سلاسل دالة [57].

والهام في مفهوم الاسطوخيا Stoikheîon استحالة تجزئتها من جهة، وحملها دلالة من جهة أخرى، وهذان الطرفان المتلازمان المتحرّكان ضمن تحليل ذرّي شبيهان بما يمكن أن يجري في الرّمزية الصوتية القائمة على الصوت رمزا.

ورغم ما لهذه الرمزية من نسبيّة النتائج في اللغة الواحدة، فقد اعتبرها بعض الباحثين ظاهرة كونية تسمى الرمزية الصوتية الكونية Symbolisme phonétique universel، لكنّ هذا الاعتبار لا يعني أن هذه الرمزية الكونية لم ترتبط في الحقل اللساني بجدل في شرعيتها، فقد أيّدها البعض، ونفاها الآخر، ولكلّ منها دراسات لسانية إحصائيّة، ونفسية لسانية تدعمه.

ومن أدلّة القول بهذه الظاهرة ما أنجزه شاستينغ، فقد درس، في مقارنة بين الفرنسية والانقليزية والإيطالية كيفية توزيع نوع الحركات في الكلمات الدالة على ركني ثنائية الظلمة والنّور، والنتيجة أن اللغات الثلاث تستعمل باطراد أكثر الحركات الأمامية أو المتّضحة لتكوين معجم النّور، وتستعمل الحركات الخلفيّة أو القاتمة لتكوين معجم الظلمة [58].

وفي هذه الظاهرة يرى بيترفالفي أنه إذا كان سليما التأويل القائل بالحسّ المتزامن بين الصّوت وما يحيل عليه من مدلول ما بخضوع

---

(57) La charpente , op. cit. p. 17.

Stoikheîa مفردها Stokheîon:

Dic les Notions philosophiques, T. II, p. 2139.
Dirigé par Sylvain Auroux ... PUF.

انظر كذلك : Mimologiques, p. 30.

(58) Nouvelles recherches, op. cit..

في مقارنته بين مجموعات لسانية تتكلّم الانقليزية Miron - انظر كذلك ما أنجزه Recherches, pp. 75-76 واليابانية :

الأصوات لنفس العمليات النطقية، فإن الرّمزية الصوتية يجب ألا تقتصر على لغة واحدة، ذلك انّ هذه الرمزية بهذا التسليم يجب أن تكون في الأصل ذات طابع كوني لتماثل أعضاء النطق عند جميع البشر وإحداثها للأصوات بالطريقة نفسها [59].

ويرتبط هذا الرأي بالنظرية النطقية التي تمثّل الخلفية اللسانية المناسبة لهذه الظاهرة، لكن هذا لا يعني سهولة الإجراء لما بين اللغات من اختلاف في الأصوات نفسها جنسا وعددا.

وفي مقابل القائلين بالرّمزية الصوتية الكونية، أثبت الناقدون لهذه الظاهرة بدراسات تطبيقية [60] كذلك عدم وجود كونيتها، ومن مبرّرات هذا النفي ما لكلّ لغة من خصائص لغوية، وهذا النفي نراه بديهيا ودحضا طبيعيا لافتقار هذه الظاهرة لدراسات تطبيقية عديدة ودقيقة ترقى إلى أدلّة قاطعة تضفي عليها شرعية الكيان وترفع الشك باليقين.

لكنّ هذا لا يعني أنّ الرّمزية الصوتية غير هامّة، ذلك أنّها، رغم نسبيّة نتائجها لقلّة الدراسات التطبيقية وما يبدو من رفض الاعتباطية السوسيرية [61] لها، تبقى مبحثا هامّا، ذلك أنّها حسب يسبرسن، تجعل الكلمات أكثر تمكّنا في الوجود [62]، بصفة تعني، حسب رأينا، أنّ وجود الكلمة لا يحتاج إلى شرعيّة الوجود فقط، بل كذلك إلى تفسير العلاقة بين الدّال والمدلول.

إضافة إلى هذا، فإن الرّمزية الصوتية تشرّع التساؤل عمّا استقرّ في اللسانيات من اعتباطية العلاقة بين الدّال والمدلول لما لها من خصائص التصوّر والآلية، بما يجعل منها مبحثا يمثل، وإن تصوّرا، بعض المراجعة لهذا المستقرّ، ذلك أن التسليم بالرّمزية الصوتية يقتضي إعادة النظر في عدّة

(59) Recherches, p. 63.

(60) انظر دراسة Taylor I.K. Taylor M.M. في : Recherches, op. cit, pp. 73-74.

(61) Idem, op. cit. p. 24.

(62) Nature, op. cit., p. 394.

مسلمات، منها إضافة الوحدات الدّالة دلالة رمزيّة (الصوتم الرّمز) إلى ثنائية الوحدات الدالة وغير الدّالة بصفة قد تربك نظام المستويات اللغوية ويفقد التقطيع المزدوج قيمته... وفي هذا يرى بيترفالفي أن التسليم بالرّمزية الصوتية يتعذر معه تحليل اللّغة في مستوياتها المختلفة التي حدّدها اللّسانيون [63].

لكنّ هذا لا يعني البتّة أنّ قيمة الرمزية الصوتية لا تكمن في التصوّر والافتراض فقط، بل كذلك في ما يحكم نتائج دراساتها من نسبيّة، يراها يسبرسن بديهية: ذلك أنه لا توجد حسب رأيه، لغة فيها كلّ الإمكانات في رمزية الأصوات، إذ كلّ اللغات لها كلمات خاضعة لهذه النسبية، وذلك بفعل التطوّر التاريخي الذي يمكن أن يُفقد الكلمة قيمتها الدلالية الرّمزية، أو بفعل ما يطرأ على الكلمات من تطوّر في المعنى لم يكن لها في وضعها الأول [64].

وتوازيا مع هذه النسبية، يرى البعض أن وجود علاقات ثابتة بين الصوت والمعنى في جماعة لسانية ما أمر مؤكّد [65] بصفة يمكن أن نفهم منها أن نتائج مبحث الرمزية الصوتية مرتبطة بضبط مدوّنة البحث حدودا ونوعا.

وفي هذا، نعتقد أن الاشتغال بمدوّنة ضيقة في لغة واحدة (قسم كلم، حقل دلالي ما...) على غاية من الأهمية لإمكانية إجرائه ودقّة البحث فيه، على أن يكون هذا الاشتغال بآلية يضطلع فيها الصوتم والرّمز مقترنين بدور أساسي في ما نقترح من مبحث "الصوتمية الرّمزية".

3. الصوتمية الرّمزيّة :

يتأسس مبحث الصوتمية الرّمزية على حدود الرّمزية الصوتية ونسبيّة نتائجها وارتباطها بالمجال النفسي، وتشترك معها في الدلالة الرّمزية غاية

(63) Recherches, op. cit. , pp. 24-25.

(64) Nature, op. cit, p. 392.

(65) Dic Encyclopédique... , op. cit., p. 326.

كبرى. وفي هذا يحتاج هذا المبحث إلى آلية تبرز كيفية الإجراء وطريقة التحليل، آليةٍ نعرض أولا أهم أسسها النظرية لنعرض لاحقا كيفية اشتغالها.

1.3 - الأسس النظرية

إن الصوتمية الرّمزية لا تستند إلى مجرّد استبدال الصوت الرّمز بالصوتم الرّمز، بل تعتمد كذلك على التخلّص ممّا تحرّكت فيه الرّمزية الصوتية من دائرة نفسية، فحتّى الصوتم قد عرف في البحث اللّساني أرضيّة نفسيّة في ما أسّسه بدوان دي كورتناي Baudouin de courtanay [66] الذي ربط في مرحلة من بحوثه الصوتم بعالم الصّور الذهنيّة، فعرّف الصوتم بأنه "المعادل النفسي للصوت" [67].

إن الصوتم في "الصوتمية الرّمزية" ليس إلا بمفهومه اللساني الصّرف كما حدّده دي سوسير وتابعوه، فهو ما ارتآه جاكبسون في تأكيده على ما للصوتم من قيمة لسانية لا تحدّدها أسسه النفسية الصوتية، بل ما يضطلع به من دور في اللغة [68].

قصدنا بهذا أن البقاء في دائرة البحث اللساني الصّرف يتعذّر معه تحرّك الرّمزية الصوتية بمجالاتها غير اللسانية ضمن هذه الدّائرة، ذلك أن التقاطع بين العلوم يحتاج إليه البحث العلمي نفسه، لكن الخروج عن دائرة التخصص محفوف بمخاطر لا ينجو منها إلا ذو الاختصاصين.

إن الصوتم وحدة تحليل أساسية ومقوّم ضروري للآلية، فهو العنصر النوعي في اللغة، به تتميّز عن بقيّة أنظمة العلامات، واللغة بهذا هي

---

(66) Baudouin de courtenay : لساني بولوني. له الفضل في بداية طرح فكرة الصوتم سنة 1870 في محاضرة بجامعة Saint Pétersbourg : Six leçons., op. cit., p. 48

(67) Idem, p.50.

وانظر ما دار من نقاش في اعتبار الصوتم ذا مفهوم نفسي في :

- Six leçons, op. cit. pp. 50-66
- Sapir, Linguistique : pp. 165-186.

(68) Idem., op. cit. p. 61

النظام الوحيد المكوّن من عناصر هي في الوقت نفسه دالة وفارغة من كلّ دلالة، وليست هذه الدلالة إلا قيمة سلبيّة، محمولا سالبا [69].

ويمكن أن نعتبر أنّ هذا المحمول السالب محمول إيجابي هو الدلالة الرّمزية دون أن يفسد الواحد منهما الآخر قيمة وآلية، إذ تجمع بينهما الدلالة في أقصى درجات تجريدها، حيث تنتفي ثنائية السالب والموجب، وتؤلف بينهما الوظيفة في معناها العام حيث يختفي التمييز قيمة والرّمز دلالة.

لكن هذا لا يعني ما بين الصوتم والصوتم الرمز من أوجه اختلاف، فالصوتم كيان لساني تشهد به اللغة وتشتغل به اللسانيات، أما الصوتم الرّمز فذو دلالة رمزية يحتاج إثباتها إلى استقراء الواقع اللغوي.

لهذا نقترح مصطلح "الصوتميّة الرّمزية" لا "الرمزية الصوتميّة"، إشارة إلى اعتماد الصوتم منطلقا للتحليل استقراء وتحديدا للدّور وتأكيدا على أنّ طبيعة ما نفترضه لساني أساسا، وإبرازا أن الرّمز دلالة مستمدّة من الصوتم نفسه.

ولا بدّ هنا من التفريق بين مفهوم الرّمز الصواتمي Symbole phonématique حسب هاريس Harris والصّوتم الرّمز في ما نقصد، إذ الرّمز الصواتمي حسب هذا اللّساني ليس إلاّ رمزا يسمح بتمييز عبارة ما عن بقية العبارات [70]، وفي هذا شكلنة للصوتم بقيمته التمييزية بصفة يصبح بها الرّمز من اللغة الواصفة لموصوف ليس إلاّ الصّوتم، في حين أن مقاصدنا تتجاوز اختزال الصوتم في الرّمز وتجانب شكلية الوحدات إلى ربط الصوتم بدلالة رمزيّة ما.

والرّمز الّذي نعتمده ليس بمفهومه الانثروبولوجي الذي تبدو فيه العلاقة بين الرّمز والمرموز إليه علاقة اعتباطية وإن برّرت هذه العلاقة

(69) Six leçons, op. cit., p. 78.

(70) Harris Z.S., Structures mathématiques du Langage, p. 27, Trad. C. Fuchs, Dunod, Paris, 1971.

مناسبة ما، فالرمز شيء يمكن لنا أن نصنعه بسهولة، رغم علاقته الاعتباطية بالمرموز إليه [71] وهذا المفهوم الانثروبولوجي ذو انسجام داخلي لأن الرّمز انثروبولوجيا نتاج ما لحاجاتنا التعبيرية، وهو بهذا متّصل أشدّ الاتّصال بالاعتباطية لتنوّع هذه الحاجات وتعدّدها بصفة لا يمكن بها فهم آلية هذا النتاج.

ومن أدلّة هذه العلاقة الاعتباطية بين الرّمز والمرموز إليه عدم وجود علاقة تشابه أو سببيّة بينهما [72] بما يدلّ أن هذا النتاج غير خاضع لضرب من العلاقات المبرّرة له.

لكنّ هذا لا يعني البتّة أنّ الرّمز بمعناه اللساني لا تربطه بالمرموز إليه علاقة اعتباطية، إذ لا تبرير لجنس هذه العلاقة بينهما، غير أن الرّمز في ما نقصد يتحرّك ضمن آلية نوضّحها لاحقا، قد تثبت نسبيّة هذه الاعتباطية، وفي هذا يحتاج هذا الرّمز إلى قرينة تدلّ عليه وتشير إليه.

يحتاج الصوتم الرّمز في تعيينه للدلالة الرمزية إلى قرينة لفظيّة شكلية، وفي هذا يرى بريتو Prieto أن كلّ تعيين لا يمكن أن يكون إلا في إطار شكّ لحدث ما، شكّ ترفعه القرينة كليّا أو جزئيّا [73].

وهذا المفهوم العام للقرينة ينطبق على مبحث الصوتمية الرّمزية، ذلك أن وجود صوتم رمز ما في وحدة لسانية ما قد ينفتح على عدّة دلالات رمزية مفترضة يمكن أن ينعدم وجودها بصفة جزئية أو كلية حسب قدرة القرينة على المساهمة في التعيين بالإيجاب أو السلب، إذ للقرينة هذه الخصيصة المزدوجة [74].

وليست القرينة التي نقصد قرينة معنوية يتعذّر حصرها، إنما هي لفظية شكلية يمكن أن نختزلها في "ما التصق بالشيء حتى صار علامة له

(71) Yven Ren Chao, Langage et systèmes symboliques, p. 208, Payot, Paris, 1970, tra de l'ang. Louis-jean calvet, Bibliothèque scientifique.

(72) Idem, p. 211.

(73) Prieto, Luis J., Messages et signaux, pp. 19-20, PUF., 1972,col SUP.

(74) Idem, p. 22.

ودالا عليه... وإذا كان هذا معناها فهي كثيرا ما تستعمل بمعنى الدليل والمستند عليه في الدليل" [75]. بهذا المفهوم فإن القرينة التي نقصد ليست إلا موقع الصوتم وجنسه مقترنين.

وخصيصة هذه القرينة أنها تشتغل في إطار تقابل وتماثل مع قرائن أخرى من جنسها، إذ القرائن يتعامل بعضها مع بعض تحديدا وإقصاء وتكاملا. لكنّ هذه الأسس النظريّة من صوتم ورمز وقرينة ليس الواحد منها مستقلا عن الآخر إلا بصفة نظريّة، إذ تشتغل معا في إطار آلية إجرائية.

2.3. آلية الإجراء :

إن للصوتمية الرّمزية في ما نقترح آلية إجرائية يستمدّ فيها الصوتم الرّمز دلالته الرّمزية المرتبطة به في إطار منتظم من العلاقات الدّاخلية والخارجية ضمن مجموعات صغرى وكبرى تتحرّك ضمنها مقابلات أو متشابهات ما مستمدّة من الوحدات اللسانية نفسها بما يشهد به الواقع اللغوي نفسه بسند الاستقراء والملاحظة.

نقصد بهذا أن الصوتم الرّمز يمكن أن يتحرّك ضمن نظام قائم على العلاقات المذكورة وما يوازي ذلك من اطرّاد الظاهرة وانتظام الدلالة الرّمزية انطلاقا من الصوتم من حيث كونه كيانا لسانيا ذا وظيفة سرعان ما ننتقل بها إلى الدّلالة الرّمزية.

وفي هذا، فإن وظيفة الصوتم التمييزية لفرط تداولها واطراد انتظام دلالتها تصبح وظيفة تعبيرية ذات دلالة رمزية، ذلك أن الصوتم والرّمز يلتقيان في التجريد بصفة يصعب الفصل بينهما صعوبة فصل وجهي

(75) الشريف، محمد صلاح الدين، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان "اللغة العربية مبناها ومعناها" في : حوليات الجامعة التونسية، ع.17 (1979)، ص.ص. 194-229.

العملة عن بعضهما، فما يكاد المحلّل يطمئن إلى وجه منهما قيمة ودورا حتى يظهر الثاني حاملا دلالته الرّمزية.

ومردّ الحاجة إلى الصوتم أن الرّمز يتأسس على كيان ذي وظيفة، أمّا الحاجة إلى الرّمز فلأنّ الصوتم غير دال، فالصوتم الرمز مفهوم لا يفسد البتّة مفهوم الصوتم، إذ للمفهومين أن يعيشا معا دون إرباك النظام اللغوي.

إن الرمز، لا يستمدّ شرعيته في الحقل اللساني إلا من كونه ظاهرة لسانية تسنده خلفية لسانية صرف تعلّله، وواقع لغوي دلالي يشهد له ويقرّب المسافة بينه وبين المرموز إليه درءا لطول مسافة الايحاء واجتنابا لاتّساع دائرة التأويل، ولن يكون هذا إلاّ إذا استند الرّمز إلى كيان لساني، هو الصوتم، يصطبغ به ويكوّن معه ثنائية في صيغة المفرد ووحدة تحليل واحدة، مدارها الإجراء وآليتها التحليل الصوتمي الرّمزي القائم على ما بين الصوتم الرّمز والمرموز إليه من انتظام علاقة واطراد اقتران بصفة يكون بها هذا الاطراد بمثابة التعليل لهذه العلاقة نفسها.

فالغاية من الصوتمية الرّمزية البحث عن اقتران صوتم رمز ما بدلالة رمزية اقترانا مطّردا يدلّ على انتظام، لكنّ هذا الانتظام وإن كان لا يعني ضرورة تفسيرا منطقيا عقلانيا لعلاقة الدّال بالمدلول فإنه لا يدلّ كذلك على محض صدفة.

وليست آلية الصوتمية الرّمزية بما تتأسس عليها من علاقات مختلفة إلا منسجمة مع ما يقتضيه مفهوم النظام اللغوي نفسه، ذلك انّ من شروط النظام أن يوجد مبدأ مفسّر له، مبرز لتلاحمه [76] ولا يحدث هذا إلاّ إذا حدّدنا طبيعة العلاقات الموجودة بين العناصر المكوّنة لهذا النظام وبإبراز انتظامه الدّاخلي ومنطقه التركيبي مع تبرير أقسام البنى المحدّدة [77].

(76) Moignet, Gérard, Systématique de la langue française, p.2, Eidtions Klinc Ksieck, Parsi, 1981.
(77) Idem, p. 2

على أن إجراء هذا النظام يقتضي ضرورة أن تكون وحدات التحليل عناصر محدّدة، حاضرة معا في نطاق مجموعة منتهية أو أكثر (المدوّنة) بما يسمح للنظر إليها زمن التحليل نظرة آنية حضورية، فعناصر كلّ مجموعة تتحرك ضمن علاقات شكلية معينة، داخلية في إطار المجموعة الواحدة، وخارجية ضمن أكثر من مجموعة بصفة تناسب مبحث الصوتمية الرمزية باعتبار أن مشغلها البحث عن الدلالة الرمزية التي يمكن للصواتم، وهي في الدّوال، أن تضطلع بها.

ولا يمكن أن ينجز هذا إلا بمقارنة الوحدات اللسانيّة حسب خصائص لفظية وقرائن شكلية (المتشابهات، المتقابلات...) ضمن مدونة ضيقة منتهية عناصرها، سواء كانت هذه العناصر وحدات معجمية أو نحوية تكون بها الدلالة الرمزية معجمية أو نحوية.

وليست هذه المقارنة إلا قرينة متحركة في إطار الوحدات اللسانية المقارنة لتتبع المؤتلف والمختلف، ولا يتسنى لها هذا التحرك إلا بما يتوفر لها من قرائن ثابتة، كلّ منها يتأسس على موقع الصوتم الرّمز وجنسه، ذلك أن الرّمز لا يظهر إلا بالصوتم نفسه بما يمكن أن نعتبر معه أن الصوتم نفسه قرينة الرّمز.

فالقرينة بهذا، وإن اختلفت نوعا ودرجة تأثير، لا تخرج على كونها قرينة شكلية يخضع ضبطها لزاوية النظر ومرحلة التحليل، وهي بهذا مساهمة في تعيين الرّمز بدلالته الرمزية دون أن يتداخل هذا الرّمز مع مفهوم العلامة اللسانية باعتبار طبيعتها الثلاثية في مقابل الرّمز ذي الطبيعة الثنائية [78] وإن التقيا في دائرة الاعتباط إذا استثنينا ما نفترض في الصوتمية الرمزية من حدّ وإن بصفة نسبية لهذا الاعتباط.

لهذا، لا يمكن أن نعتبر علاقة ارتباط الصوتم بدلالة رمزيّة علاقة غريبة للعلاقة نفسها التي تربط بين الدّال والمدلول لغياب التفسير في كلّ منهما.

(78) Introduction, op. cit, p. 277.

على هذا يستوي الدال والصوتم الرّمز ويتّحد الكلّ والجزء بصفة نتساءل معها عن الفرق بينهما وجدوى وجودهما معا لولا القانون الفيزيائي الذّرّي والحاجة اللسانية الإجرائية في الافتقار إلى عدد غزير من الكلمات تلبّي حاجة البشر المتجاوزة بداهة عدد الأصوات.

وفي هذا الإطار لا ننظر إلى الصوتمية الرمزية على أنها مجرّد مقارنة، بل نعتبرها فرضية علميّة.

3.3. *الصوتمية الرّمزية فرضيّة علمية*

ليس ما نقترحه في مبحث "الصوتمية الرّمزية" ضربا من التخمين والافتراض المتعذّر، إنما هو تصوّر مستمدّ من "الرمزية الصوتية" بما ذكرنا لها من شرعية لسانية وتاريخية وإن نسبيّة، وضربٌ من التجريد ينتظر إثباتا خصوصا أن الفكر المجرّد ليس رديفا لفكر علمي رديء [79]، وفي هذا، تحتاج كلّ دراسة لغويّة إلى درجة من التجريد حاجتها إلى الرّوح العلمي.

إن "الرّوح العلمي يجمع في ذاته الخصائص الأكثر تقابلا : من جهة خيال لخلق الفرضيات، ومن جهة أخرى : صرامة وإحكام ودقّة... [80]"، وفي هذا، ما كان للظاهرة اللغوية أن تعرف تطوّرا في البحث لولا طرفا هذا الروح خصوصا طرفه الخالق الباعث.

وهنا، يمثل الحدس باعتباره "رؤية دون أي واسطة بين العقل والشيء الذي يريده هذا العقل فهمه" [81]، الموجّهَ للبحث الدافعَ له، ذلك أن

(79) Bachelard, G., La formation de l'esprit scientifique, p. 6. Librairie philosophique J. VRIN, 1999, Bib des textes philosophies.

(80) Virieux, Raymond, A. Introduction à l'Épistémologie, p. 102, PUF, 1972. :

L'esprit scientifique unit en lui les qualités les plus opposées : d'un côté imagination pour inventer les hypothèses, de l'autre, rigueur, exactitude et précision.

(81) Idem, p. 41 :

... Une vision sans aucun intermédiaire entre l'esprit et l'objet qu'il veut appréhender.

الفكر يجب أن يعتبر الحدس، على أخطائه، بمثابة وسيلة لتقديم فرضيات تجب مراجعتها لاحقا [82].

وفي هذا الإطار، فإن الظاهرة اللغوية شدّ ما تحتاج إلى فرضيات باحثة عن تفسير لعلاقة الدّال بالمدلول وإن لم تمسّ هذه الفرضيات جوهر بعض المسلمات مثل مسلّمة الاعتباطية، وفي هذا يظهر مبحث الصوتمية الرّمزية فرضية ضرورية بالمعنى العلمي للفرضية قيمة ودورا [83].

لهذا نعتبر أن الصوتمية الرمزية ظاهرة محايثة لاعتباطية اللغة، تعيش معها بالتوازي، تهدّدها دون أن تمسّ من جوهرها، وتحتاج في ذلك إلى دراسات تطبيقية مثيلة للتجارب في "العلوم الصحيحة"، دراسات يمكن أن تؤسس على أفكار مسبقة، ذلك أن من المستحيل القيام بتجربة دون أفكار مسبقة [84].

وفي هذا الإطار، يرى بوانكاريه أن اللغة "إنما قدّت من أفكار مسبقة لا شعورية، فهي أخطر بكثير من بقيّة الأفكار" [85]، وليس الهام في هذا قيمة الأفكار المسبقة فقط، بل كذلك اعتبار اللغة ظاهرة تنطبق عليها ما تحتاج إليه كلّ تجربة من هذه الأفكار وإن كانت لا شعورية بما يدلّ على رأي في نشأة اللغة، مداره اللاشعور.

وهذه الأفكار المسبقة شدّ ما يحتاج إليها الباحث في الصوتمية الرّمزية، إذ فرضيته [86] المحتملة تحتاج في المساءلة عن اليقين إلى هذه الأفكار لتتبع مدى صحّتها، وفي هذا، يرى بوانكاريه أنه "مهما بدا لنا توقّع ما متين الأسس، فلن نكون أبدا على يقين مطلق من أن التجربة لن

(82) Idem, p. 41.

(83) بوانكاريه هنري، ص. 72، المنظمة العربية للترجمة، د.ت، ترجمة وتقديم حمادي بن جاء بالله.

(84) ن. م، ص. 219.

(85) ن.م، ص. 220.

(86) انظر دور الفرضية وضرورتها في ن.م ص. 72، 226.

تفنده إذا ما بادرنا إلى التحقّق منه، ولكن ذلك الاحتمال يكون عادة على درجة عالية من القوّة بحيث نستطيع عمليا الاكتفاء به، وخير لنا أن نتوقّع من أن لا نتوقّع أبدا" [87]، لكن القضية في الظاهرة اللغوية أكثر تعقيدا قد تتجاوز مفاضلة بوانكاريه المذكورة إلى مفاضلة مدارها أنه خير لنا أن نتوقّع من دون يقين من التّيقّن دون توقّع ما يربك هذا اليقين المتّكئ على الاعتباط في علاقة الدّال بالمدلول.

ويبدو ظاهريا ما نطرحه من إشكالية علاقة الدال بالمدلول طرحا لإشكالية قديمة، لكن هذا لا يعني أن الإجابة عنها جديدة، ذلك أن ما هو كامن في بنى اللّغة من صوتمية رمزية مفترضة ذات مادّة لفظية قديمة قدم اللغة نفسها يدلّ على أن الإجابة تبقى بهذا قديمة، ذلك أن الموجود بالقوّة والموجود بالفعل قد يلتقيان في بُعد القدم لأن الثاني ليس إلاّ امتدادا للأول لما بينهما من تواصل الوجود ومشتركه وإن تغيّر الطرف وتلوّن الإطار.

لذا، فإن المقصد طرح إشكالية جديدة في ظروف مغايرة، ذلك أن "الانتقال من إشكالية إلى أخرى معناه تجديد ظروف صياغة المشكلات وبالتالي نحت مشاكل أخرى وصياغة مفاهيم مغايرة وإعطاء مضامين مخالفة لألفاظ قديمة، فالجدّة لا تصيب الإجابات وحدها وإنما الأسئلة كذلك" [88]. ومن الأمثلة على هذه الظروف الجديدة المناسبة لطرح إشكالية الصوتمية الرّمزية ما عرفه البحث اللساني منذ دي سوسير من نقلة نوعيّة، مختزلها دقّة المفاهيم المؤسسة للعلم والتصوّر المخلّص للسانيات مما هو غير لساني بصفة جعلت اللسانيات مبحثا علميا مستقلا تطرح إشكالياته في صميم نظرية المعرفة.

---

(87) ن. م. ص. 220.

(88) بنعبد العالي، عبد السلام ويفوت سالم، درس الابستيمولوجيا ، ص. 9، دار توبقال للنشر، ط. 3، 2001، المغرب.

وفي هذا الإطار من تطوّر البحث اللساني نجد تطوّرا للبحث الذريّ في اللسانيات مؤسسا على نظرية الصوتم بقيمته التمييزية بصفة تجعل البحث في الصوتمية الرّمزية تواصلا طبيعيا ومسارا بديهيا لارتباطه بالصوتم وحدةَ تحليل ودورهِ دلالةً رمزيةً.

لكن هذا التواصل لا يعني البتّة تواصلا ساذجا، ذلك أن الصوتمية الرّمزية مبحث ليس له أن يتحرّك إلا في إطار ابستمولوجي، إذ الابستمولوجيا "هي الدّرس النقديّ لمبادئ مختلف العلوم وفرضياتها ونتائجها، الرّامي إلى تحديد أصلها، قيمتها ومداها الموضوعي" (89).

فليس هذا الإطار الابستمولوجي إلا تعبيرا عن مسار كلّ حركة علمية يمكن أن يتأسس على نقد حركة علمية أخرى إما نقضا أو تصحيحا وهو ما يحتاجه البحث في الصوتمية الرّمزية باعتباره تجربة قد تساهم في تفسير العلاقة بين الدّال والمدلول تفسيرا مجانبا للاعتباطية خارجا على الاعتباطية بصفة قد يعدّ بها تجربة علمية باعتبار أن هذه التجربة تناقض ابستمولوجيا التجربة المشتركة (90).

بناء على هذا، نعتقد أن اللغة العربية تمثل نموذجا للغات الطبيعية التي يمكن أن تدرس ضمن مبحث الصوتمية الرمزية خصوصا إذا ضيّقنا مدوّنة البحث إلى قسم من كلمها أو صنف منه...

4 - اللغة العربية مبحثا للصوتمية الرّمزية

إن من مسوّغات هذا المبحث في اللغة العربية مسوّغين أساسين، الأول ما أُسّس لها، في نظرنا، في التراث اللغوي العربي وإن لم تتمّه الدراسات الحديثة، أما الثاني فخصائص في الوحدات اللسانية نفسها.

---

(89) لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، ج.1، ص. 357، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001.

(90) La formation, op. cit. p. 10.

وأهمّ ما ذكر في التراث اللغوي ممّا يفيد في مبحث الصوتمية الرّمزية ما أسّسه ابن جني في كتابه "الخصائص" في أبواب عدّة نصنّف أهمها [91] إلى مبحثين.

يمكن للمبحث الأول أن يندرج عموما ضمن النظرية النطقية بما ذكرنا لها من مفهوم، فقد ربط ابن جني بين الحروف ودلالاتها في إطار مقابلات وفي هذا قال : "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع(...) وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها (...) من ذلك قولهم : خضم وقضم، فالخضم لأكل الرّطب كالبطيخ (...) والقضم للصّلب اليابس (...) فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث" [92].

فقد ربط ابن جني هنا دلالة الصوت بخصيصة نطقية فيه بصفة يصبح معها الصوت رمزا لدلالة الكلمة، ذلك أنه ربط جزء الكلّ بدلالة الكلّ نفسه في ما بينهما من مشترك دلاليّ.

أمّا المبحث الثاني فنعتبره عموما من النظرية الأكوستيكية المستندة إلى الحس المتزامن، من ذلك ما أورده ابن جنّي نقلا عن الخليل بن أحمد : "قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّا فقالوا : صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر" [93].

---

(91) تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، ج.2 ص.ص. 145-152.

- باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، ج.2 ص.ص. 145-152 ؛
- الخصائص دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق محمد علي النجار، د.ت.
- وانظر في هذا كذلك أطروحة :
- Mehiri Abdelkader les théories grammaticales d'Ibn Jinni, pp. 301-315, publications de l'université de Tunis, 1973.

(92) الخصائص، ج.2، ص.ص. 157-158.

(93) ن.م.، ص. 152.

وما يعنينا في هذا علاقة التوهّم المؤثرة في كيفية صياغة الدّال بما يمكن أن يحدث بالحسّ المتزامن المرتبط بالنظرية الأكوستيكية وإن بدت العلاقة بين طرفي الحسّ المذكور مقلوبة، ذلك أن الصّوت في هذه النظرية يكون باعثا على دلالة ما، أمّا التوهّم هاهنا فمؤثر في بنية الدّال، ولا غرابة في هذا، إذ هذا التصوّر الخليليّ مرتبط بكيفيّة وضع اللّغة.

ورغم تنبيه ابن جنّي لعظمة هذه المباحث واتساعها وشرفها ولطفها [94]، فإن ما أورده لاحقوه ليس إلا مجرّد إعادة تراوح مكانها [95].

لم تول الدراسات العربية الحديثة هذا المبحث القيمة المبرزة له بصفة لم نر معها دراسات تطبيقية أو نظرية [96]، فحتى الدراسات المعجمية المهتمة بالصوت قصرت غايتها على الإحصاء [97] في سمت لما ذكره القدماء في خصائص الأصوات وعلاقتها ببعضها، كذا، جانبت البحوث الصرفية المهتمّة بالتحليل الذرّي المبحث المنشود لتقيّدها بغاية الصّرف نفسه، وفي كلّ هذا اشتركت هذه الدراسات في أنها لم تخرج "الموجود بالقوّة" إلى "الموجود بالفعل عدا ما ذكرنا من إشارة نسبية لابن جنّي.

---

(94) ن.م. ج.2، ص. 152، 157، 162.

(95) السيوطي، جلال الدين، المزهر ج.1، ص.ص. 53-56، دار الجيل، دار الفكر، بيروت، د.ت

(96) انظر مثلا :
- البدراوي زهران، مبحث في قضيّة الرّمزية الصّوتية، طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز إليه، دار المعارف، ط.3، 1993.
- باربو أمين عبد الكريم، من أصالة الجذور إلى جذور الأصالة ،في: "مجادلة السائد في اللغة والأدب والفكر"، أعما ل ندوة نظمها قسم العربية بكليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2002 سلسلة 7، المجلّد 12، ص.ص. 147-159.

(97) نذكر على سبيل التمثيل :
- موسى علي حلمي، دراسة احصائية لجذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر)، مطبوعات جامعة الكويت 1973.
موسى علي حلمي + عبد الصبور، شاهين، دارسة لجذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر) مطبوعات جامعة الكويت، د.ت.

إن للّغة العربية خصائص في بناها تؤهّلها أن تعتبر أنموذجا من اللغات الطبيعية لمبحث الصوتمية الرّمزية، من أهمها أنها لغة "من أقدم اللغات التي حافظت على بنيتها التاريخية التامّة، ذلك أن التاريخ لم يسبق له أن حدّثنا عن لغة عمّرت أكثر من ستّة عشر قرنا دون أن تنسلخ إن في بنيتها النحوية وإن في بنيتها الصوتية والصرفية والمعجميّة" (98)، وهذه المحافظة من شأنها أن تدعّم شرعية الاشتغال على بنى الوحدات اللسانية وتدفع عنها الاعتراض بتطوّرها وتغيّرها تغيّرا بما يضعف مبحث الصوتمية الرمزية.

إضافة إلى هذا فإن في الوحدات اللسانية في العربية عدّة خصائص تؤهلها لمبحث الصوتمية الرّمزية أهمّها خصيصة الاشتقاق بنوعيه، وانتظام بنية الوحدة وإن بصفة نسبية، وظاهرة الإلصاق وما للأسماء الجامدة وحروف المعاني من طواعية التحليل الذرّي، رأى النحاة أنفسهم أن بعضها في علاقة اشتقاق، على أن هذه الخصائص لا ترتقي إلى قيمة القرينة في ما بيّنا، بل هي باعثة على التساؤل، مشرّعة لفرضيّة قد تخرج "الموجودة بالقوّة" إلى "الموجود بالفعل".

خـــاتـمـــة :

لقد بيّنا أنّ الاعتباطية وإن استقرّت مبدأ يصل حدّ المسلّمة فإنّها بقيت مبعث تساؤل في اللسانيات يفهم بالخلف منه نشدان تفسير ما لعلاقة الدّال بالمدلول، وفي هذا الإطار مثّلت الرّمزية الصوتية مبحثا غايته هذا التفسير، سندها في ذلك ما لها من شرعيّة الكيان لما لها من مفهوم محدّد، ومجال تطبيق متنوّع وُجّه بعضه نحو الكونيّة، وآلية تحليل باحثة في علاقة الدّال بالمدلول استنادا إلى أصوات الدّال نفسه بغية البحث عن تفسير لهذه العلاقة بما يدلّ على مخالفتها لمبدإ الاعتباطية دون أن تكون لها القدرة على ذلك إلاّ بصفة تكاد لا تذكر.

(98) مسدّي، عبد السلام، العربية والإعراب، ص. 64، مركز النشر الجامعي، 2003.

وفي هذا اقترحنا الصوتمية الرّمزيّة مبحثا لسانيّا صرفا لما لا له من خصيصة المقوّمات النظريّة ودقة الآليّة الإجرائيّة والانتظام الدّلالي المفترض بما تشرّعه الفرضيّة العلميّة ويسوّغه "الحدس اللساني".

وقد ذكرنا أنّ اللغة العربيّة تمثّل، لخصائص فيها، أنموذجا للغات الطبيعيّة التي يمكن أن تستجيب بعض مجالاتها لهذا المبحث في العلاقة بين الدّال والمدلول.

إن علاقة الاعتباط تبدو لنا ذات شرعية وهمية لوهم الاعتباط نفسه، وهميةٍ صمت عنها البحث اللساني لما استقرّ فيه من مسلمات يشهد بها الواقع اللغوي نفسه، وفي هذا لا نزعم أن مبحث الصوتمية الرمزية رافع هذا الوهم وإلا ارتد هو نفسه وهما، إنما هو مبحث يشرّع التساؤل عن حدود الاعتباطية ويبحث في آلية تفسير لعلاقة الدال بالمدلول، ولا حجّة له في هذا إلا البحث التطبيقي في ما بيّناه من آلية يضطلع فيها الصوتم الرمز بدور أساسي، وقد تكون اللغة العربية أنموذجا لهذا المبحث.

إن الصوتمية الرّمزية مبحث منفتح على المعجم والنحو في الوقت نفسه، منفتحٌ على المعجم بالدّلالة الرّمزية المعجميّة بما يمكن أن يستفيد منه البحث المعجمي نفسه، ومنفتحٌ على النحو من جهتين، بالدلالة الرّمزية النحويّة (البحث في حروف المعاني مثلا)، وبتصوّر مجانب لرؤية النحاة لعلاقة لفظ الكلمة بمعناها في ما أرادوه من مقاصد، إذ لا يدلّ حسب رأيهم جزء هذا اللفظ على جزء معناه بصفة مرتبطة بداهة بالاعتباطية، في حين أن الصوتمية الرّمزية تبحث في دلالة الجزء على دلالة الكلّ، دلالةِ الصوتم الرّمز على مدلول حامله.

لكنّ التسليم بدلالة الصوتم الرّمز تطرح معه عدّة مسائل نظرية، منها اشتراك هذا الصوتم مع الصرفم في الدلالة بصفة تتداخل فيها الحدود والمفاهيم والتساؤل عن دور بقيّة صواتم الكلمة ونوع علاقاتها بهذا الصوتم الرّمز بصفة قد تدلّ على وجود أكثر من صوتم رمز في الكلمة الواحدة تتعدّد معها دلالة الكلمة نفسها وتتنوّع، ولا مجيب عن هذا إثباتا أو نفيا إلا الدراسات التطبيقية بما حُدّد لها من آلية إجراء ونوع مدوّنة.

المراجع المحال عليها

* بوانكاريه هنري، العلم والفرضيّة، المنظمة العربية للترجمة، ترجمة وتقديم حمادي بن جاء الله، د.ت.

* باربو، أمين عبد الكريم، من أصالة الجذور إلى جذور الأصالة في : "مجادلة الساند في اللغة والأدب والفكر" أعمال ندوة بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2002 سلسلة 7، المجلّد 12، ص.ص. 147-159.

* البدراوي، زهران، مبحث في قضية الرمزية الصوتية، طبيعة العلاقة بين الكلمة وما ترمز إليه، دار المعارف، ط. 3، 1993.

* نبعبد العالي، عبد السلام، ويفوت سالم، درس الابستمولوجيا، دار توبقال، ط.3، 2000، المغرب.

* ابن جني، الخصائص، ج.2، الكتاب العربي، بيروت، تحقيق محمد علي النجار، د.ت.

* لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001.

* موسى، علي حلمي، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر)، مطبوعات جامعة الكويت 1973.

* موسى، علي حلمي وعبد الصبور، شاهين، دراسة لجذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر)، مطبوعات جامعة الكويت، د.ت.

* الزناد الأزهر، المعجم في اللغة العربية : تولّده وعلاقته بالتركيب، أطروحة دكتورا دولة (مرقونة) كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1998.

* الشريف محمد صلاح الدين :

- الشرط والإنشاء النحوي للكون، منشورات كلية الآداب بمنوبة سلسلة اللسانيات، المجلّد 16، تونس 2002.

- النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسّان "اللغة العربية مبناها ومعناها" في حوليات الجامعة التونسية، ع.17، (1979).

* مسدّي عبد السلام، العربية والإعراب، دار النشر الجامعي، 1993.

* مونان جورج، مفاتيح الألسنيّة، تعريب الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس 1981.

* Auroux, sylvain, avec la collaboration de Jacques Deschamps et Djamel Kouloughli, La philosophie du langage, PUF, 1996, col. Premier cycle.

* Bachelard G., La formation de l'esprit scientifique, Librairie philosophique J. VRIN, 1999, bib des textes philosophiques.

* Benveniste Émile, Problèmes de linguistique générale, 1, col. Tel Gallimard, 1966.

* Chastaing Maxime, - Nouvelles recherches sur le symbolisme des voyelles, dans : journal de Psychologie normale et pathologique n° 1, 1964, pp. 75-88.
- Les sons et les couleurs dans : vie et langage, n° 112 juillet 1961, pp. 358-365.

* Ducrot Oswald + Todorov Tzevenan, Dictionnaire Encyclopédique du langage, Edition du Seuil, 1972, col. Points.

* Genette Gérard, Mimologiques, Editions du Seuil, Paris 1976, col. Poétique.

* Goldschmidt, victor, Essai sur le « cratyle », Librairie philosophique, J. VRIN, Paris, 1982.

* Harris Z.S, Structures mathématiques du langage, Tra. C. Fuchs, Dunod, Paris, 1971.

* Jakobson, Roman, Six leçons sur le son et le sens, Les Editions de Minuit, Paris, 1976.
* Jakobson, Romon et Waugh, Linda, La charpente phonique du langage, Traduit par Alain Kihm, Arguments les Eiditions de Minuit, 1980.
* Jesperson, otto, Nature, évolution et origines du langage, Trad. L. Dahan et A. Hamm, Payot, Paris 1976.
* Mehiri, Abdelkader, Les théories grammaticales d'Ibn Jinni, publications de l'université de Tunis, 1973.
* Moignet Gérard, Systématique de la Langue Française, Editions Klinckseick, Paris, 1981.
* Peterfalvi, Jean Michel, Recherches expérimentales sur le symbolisme phonétique, Éditions du centre National de la recherche scientifique, Paris, 1978.
* Platon, Cratyle, texte établi et traduit par Louis Méridier, Paris, les belles lettres, 2000.
* PRIETO, J. Luis, Messages et signaux collection, Presses universitaires de France, Paris, 1972.
* SAPIR, Edward, Linguistique, col. Folio / essais, traduction de Jean-Elie Boltanski et Nicole soulé - susbielles, présentation de Jean-Elie Boltanski, Gallimard, les Editions de Minuit, 1968.
* Todorov, Tzevenan, Introduction à la symbolique, dans Poétique, pp. 273-308, n° 11-1972.
* Todorov, Tzevenan, le sens des sons, dans : Poétique, pp. 446-462, n_ 11-1972.
* Toussaint Maurice, Contre l'arbitraire du signe, Didier Érudition, Paris, 1983.
* Virieux Raymond A., Introduction à l'Epistémologie, PUF, 1972.
* Jespersen, otto, Nature, évolution et origines du langage, Préface d'André Martinet, Trad, L.Dahan et A. Hamm. Payot, Paris, 1976.
* Yven Ren Chao, Langage et systèmes symboliques, Payot, Paris, 1970, Traduit de l'Anglais par Louis-Jean Calvet, Bibliothèque scientifique.